الفِكْرُ المُرَكَّبُ: أو مُوَاجَهَةُ الأَزَمَاتِ مِنْ الذَّاتِ إِلَى السِّيَاسَاتِ "دِرَاسَةٌ فَلْسَفِيّةٌ فِي طُرُوحَاتُ إِدغار موران"

الاستاذ المساعد الدكتور

عَلّي عَبّوُد المُحَمّدَاوِيّ

أستاذ الفلسفة المعاصرة المساعد

جامعة بغداد - كلية الآداب

Ali-mohamedaoi@hotmail.com

Compound thought: Or face crises from oneself to politics A Philosophical Study on the Editions of Edgar Moran

Dr.

Ali Abood Al Muhammadawi

Assistant Professor of Contemporary Philosophy

University of Baghdad - College of Arts

الملخّص :

تُمثّل مسألة الانفكاك من كل هيمنة على المعرفة الشّغل الشّاغل لكل مفكر يحاول أنْ يستقل، وينظر للعالم، والذّات، والمجتمع، رؤية تمتلك حيادها، أو ادعائها للحقيقة، بلا مؤثرات أو ضغوط، لكن ذلك لايعني البتة أنْ تكون المؤثرات الخارجيّة سلبيّة دائماً، فقد تكون مُسهِمة ومفعِّلة في الوصول للحقائق، وتنشيط البحث فيها. وهل يمكننا الرّكون للذّات بالمقابل وبانعزال تام؟ وهي الأُخرى قد تكون متفاقمة بمركزيتها، التي ضخمتها الحداثة، مشكلة أُخرى مع مشكلة الخارج عن الذّات، وعليه فالإشكال هنا هو: كيف يمكننا أنْ نتحرر رغم وجود نوازع الذّات، والمجتمع، والهوية، والزّمن؟ وكيف يمكن أن نحقق فهماً مستقلاً حراً واعياً بحالة التعقيد التي نعيشها؟ إذ إنّ مشكلة اليوم هي مشكلة فهم العالم والمجتمع، وطبيعة كل منهما؟ وإنّ فهم الذّات هو مقدمة المقدمات لكل فهم، وفي مقابل ذلك فإنّ "اللافهم يومي، ومنتشر في كل الاماكن، بل إنّه كوني (عالميّ) وهو يولد سوء الفهم الذي يثير الغضب والمرارة والكراهية والذّعر والشتائم والعنف، وفي هذه الحالة صار العدوّ نجساً بعد أنْ تمّتْ شيطنته وغداً خسيساً"( ) هذه الفكرة هي التي تجعلنا في مقابل أخطر مهمة فكريّة وهي كيف يمكننا أنْ نعيش بوضع أفضل؟ وإذا كان الفهم هو السّبيل فكيف يكون ذلك الفهم بطريقة اكثر منفعيّة لمصالح البشر ونزعتهم الكونيّة الحالية؟ سنحاول قدر الإمكان التعرف على منهج ادغار موران Edgar Morin في الفهم عبر استراتيجية الفكر المركب وما قدّمه من علم للأزمات لحل مشكلة فهم الذّات ومختلف الهويات.

الكلمات المفتاحية : الفكر المركب ،الواقع، الاضطراب ، الفوضى، علم الازمات

Abstract:

The issue of disengagement from all hegemony over knowledge is the primary concern of every thinker trying to be independent, looking at the world, the self, and society, a vision that has its neutrality, or its claim to the truth, without influences or pressures, but that does not mean at all that external influences are always negative, it may be contributing Activated in reaching facts, and activating research in them. Can we return to self in return and with complete isolation? It is the other, which may be exacerbated by its centralization, which has been exaggerated by modernity, another problem with the problem outside the self, and therefore the problem here is: How can we be liberated despite the existence of the impulses of self, society, identity, and time? How can we achieve a free, independent and conscious understanding of the complexity we are experiencing? a The understanding of the self is the prelude to the prejudices of every understanding, and in return for that, "understanding is daily, and is widespread in all places. Rather, it is universal (global) and it generates And if understanding is the pathway, how would such understanding be more beneficial to human interests and their current cosmic tendency? We will try, as far as possible, to learn about Edgar Morin's approach to understanding through the strategy of complex thought and the science he provided for crises to solve the problem of understanding self and various identities.

Key words: complex thought, reality, turmoil, chaos, crisis science

"هل تستطيع أفكارنا أنْ تنجو، ليس فقط من مركزيّة الأنا، وإنَّما من المركزيّة الاجتماعيّة الأثنيّة– الزّمنيّة، التي تسجننا في مجتمع، وزمن معينين؟ هل تستطيع أنْ تنجو من الطّبع المتحيّز والخاص والمناصِر، الذي تفرضه كل ثقافة؟".

إدغار موران، **المنهج**، ج٤، ص١٣٩

مقدمة ومدخل:

تُمثِّل مسألة الانفكاك من كل هيمنة على المعرفة الشّغل الشّاغل لكل مفكر يحاول أنْ يستقل، وينظر للعالم، والذّات، والمجتمع، رؤية تمتلك حيادها، أو ادعائها للحقيقة، بلا مؤثرات أو ضغوط، لكن ذلك لايعني البتة أنْ تكون المؤثرات الخارجيّة سلبيّة دائماً، فقد تكون مُسهِمة ومفعِّلة في الوصول للحقائق، وتنشيط البحث فيها. وهل يمكننا الرّكون للذّات بالمقابل وبانعزال تام؟ وهي الأُخرى قد تكون متفاقمة بمركزيتها، التي ضخمتها الحداثة، مشكلة أُخرى مع مشكلة الخارج عن الذّات، وعليه فالإشكال هنا هو: كيف يمكنُنا أنْ نتحرر رغم وجود نوازع الذّات، والمجتمع، والهوية، والزّمن؟ وكيف يمكن أن نحقق فهماً مستقلاً حراً واعياً بحالة التعقيد التي نعيشها؟ إذ إنَّ مشكلة اليوم هي مشكلة فهم العالم والمجتمع، وطبيعة كل منهما؟ وإنَّ فهم الذّات هو مقدمة المقدمات لكل فهم، وفي مقابل ذلك فإنَّ "اللافهم يومي، ومنتشر في كل الاماكن، بل إنَّه كونيّ (عالميّ) وهو يولد سوء الفهم الذي يثير الغضب والمرارة والكراهية والذّعر والشتائم والعنف، وفي هذه الحالة صار العدوّ نجساً بعد أنْ تمّتْ شيطنته وغداً خسيساً"[1] هذه الفكرة هي التي تجعلنا في مقابل أخطر مهمة فكريّة وهي كيف يمكننا أنْ نعيش بوضع أفضل؟ وإذا كان الفهم هو السّبيل فكيف يكون ذلك الفهم بطريقة اكثر منفعيّة لمصالح البشر ونزعتهم الكونيّة الحالية؟ سنحاول قدر الإمكان التعرف على منهج ادغار موران* Edgar Morin في الفهم عبر استراتيجية الفكر المركب وما قدّمه من علم للأزمات لحل مشكلة فهم الذّات ومختلف الهويات.

أولاً: تأسيسات الفكر المركب على انقاض الواقع المأزوم.

تتعدد المواقف تجاه الفكرة وسيادتها، بين سيطرتها على العالم، أو خضوعها لواقع مادي، ينتجها ويحدد أُطرها. والأول ما أسماه موران بالعالم الأسمى، إذ يمكن الحديث فيه عن المثاليّة، والأفكار المفارقة، والسّامية، التي تدور في فلك ماينبغي لأنْ يكون، وفي

أقل مستوياته أنْ تكون الفكرة أو الوعي من يسيطر، وله الأولوية على الوجود الماديّ- الواقعيّ. بينما الثّاني هو ما أسماه بالعالم الأدنى وهو الذي يجعل الفكر نتيجة للخارج -الواقع، أو هو بحث في ما هو كائن، وليس للفكرة فيه أيّة أولوية أو أسبقية.[٢] لكن الأهم من كل ذلك هو: كيف يمكن أنْ نتخذ موقفاً مغايراً لأنّنا وقعنا في مشكل المثاليّ والواقعيّ، سابقاً، وكذلك سقطنا في فخ الأيديولوجيات، وما تصنعه من فهم منحاز على الدّوام، وهنا تنبجس إجابة موران بالآتي: "يجب أنْ نعترف بسيادة الأفكار وتبعيتها في آن، بسلطتها وسقمها، يجب الاعتراف باقتدارها، ويجب أخذ هذه الكلمة بالمعنى الذي أُعطي لها في العالم الحي. ينبغي اعتبار حياة الأفكار لا بالمعنى المجازيّ والغامض للكلمة، وإنّما بتجذير هذا المعنى في النّظرة البيئيّة للكائن الحي، ولكن دون اختزال الفكر إلى جرثوم، ولا اختزال حياة العقل إلى حياة بروتينيّة- نوويّة"[٣].

يحاول موران أنْ يُسائل الماضي، والحاضر، وحتى صوراً افتراضيّة من المستقبل، وهذه المهمة ليستْ بالجديدة بقدر ما أنّه وضع إجابات لمساءلاته تتمتع بفرادة من نوع خاص، فهو يعتقد أنّنا حقّاً لانعلم هذه الثّلاثيّة (الماضي والحاضر والمستقبل) بشكل دقيق، بل إنّنا لانعلم ماذا يعني الماضي، بالرّغم من أنّه قد انتهى وَولى، فمسألة الشّيوعيّة والنّازيّة التي تبدو أنّها قد انقضتْ إلّا أنّنا لم نفهم أيّ منها بشكل جليّ، فهذه الأيديولوجيات هي ديانات، من نوع آخر، استطاعتْ أنْ تصنع أنبياءً لها، وشهداءً من أجلها، وأبطالاً يدافعون عنها، وبالتّالي ففهم الواقع الذي أنتج هذا الماضي كان شيئاً مستحيلاً؛ لأنّ ما يبدو منها كان شيئاً، وما تنتجه مع جماهيرها شيء آخر، وما تغذيه لمجتمعاتها كان مغايراً لما تظهره الدّعاية التي تخصها. وقد يعتقد البعض بأنّ اليوتوبيا التي سيرتْ هذه الأيديولوجيات هي السّبب في خروجها عن المعقول الإنسانيّ، أو المقبول في مجتمعات رأسماليّة؛ ولذلك فنقد هذه اليوتوبيات ضرورة ملحة، إلّا أنّ نقد الواقع أكثر ضرورة وإلحاحاً، وهذه الإشكالية انسحبتْ على الحاضر، أيضاً، فهو الآخر قد غاب معناه، وصعب التّخطيط له أو العيش فيه بلا ريبة وترقب.[٤]

والسّؤال الآن: كيف سنَفهم الواقع؟ وهل ماسبق يجعلنا واقعيين، أم يدفعنا نحو مثاليّة مفارقة ومخالفة له؟ ويشير موران إلى أنّ الخلاص ودربه يتحققان في مغادرة الاثنين، أو في المراوحة بينهما، فلا الواقعيّة المباشرة السّاذجة، والبدائيّة، التي تخبرنا على

الدّوام بضرورة المصالحة مع الوضع القائم، والنّظام المهيمن، والفريق المنتصر، هي اليقينيّة- الصالحة للاعتماد دوماً، ولا ماتقدمه اليوتوبيات الأيديولوجيّة، التي سبق الحديث عنها. وعليه فيجب أولاً الإقرار بأنَّ واقعنا مليء بالإمكانات والاحتمالات، وهذا يجعلنا غير قادرين على تبين الفريق المنتصر حقّاً، والنّظام المراد إتباعه فعلاً، وهنا تبدو أولى خطوات مهمتنا وهي: معرفة المخاطر النّاجمة عن الإيهام والخداع، التي تتضمنها كل معرفة من معارفنا، بما فيها مايتعلق بواقعنا اليوميّ، والعمليّ، وبجوانبه كافة، ولاسيّما السّياسيّ منه.[٥]

ويوجب الإقرار الآنف الذكر، بالفارق بين الواقع وإدراكنا له، نتائج لازمة مثل المفارقة بين مانحن عليه وما يجب، وبين ما نتصور به حادثة ما عن ما هي عليه في الحقيقة. وهنا ندخل في مرحلة ثانية وهي الإقرار بأنَّ الموضوعيّة، لوحدها، ليستْ حلاً حقيقيّاً اليوم للفهم، والمطابقة، والبحث عن الصدق في حكاياتنا، وتصوراتنا؛ لأنَّ الموضوعيّة متعلقة بواقع غائب فعلاً عن الإدراك بدقة، وفي مقابل ذلك ستكون الذّاتيّة منفذاً ضروريّاً للتسلح بأدوات النّقد، والفحص، للوصول لواقع صلد يُتكأ عليه في معارفنا وأفعالنا. يقول موران: "إنَّ الذاتيّة ليستْ عدواً للاعتبار الموضوعيّ للوقائع، فمن اللازم أنْ يكون المرء: ذاتاً، فاعلاً، ناقداً"[٦]، وقد ازدادتْ الحاجة لهذه الرّؤية النّقديّة الذاتيّة وتفاقمتْ، فضلاً عن ضياع الواقع الصّلد، مع هيمنة التّقنيّة على مفاصل حياتنا أكثر من أيّ وقت مضى؛ ولذلك يجب على المرء أنْ يكون منحازاً للأقليّة، لأجل أنْ يقترب من الواقع، لأنَّ الأغلب سيكون مضلَلاً، وحتى لو كان الواقع غير ظاهر بما يكفي، إلَّا أنَه ليس وَهماً بالمطلق، وإنَّما هو نوع من الألغاز ويتضمن في داخله اللايقين.[٧]

ويجب على كل منا أنْ لايرضخ لصورةٍ واحدةٍ وثابتةٍ منه، لأنَّه سيبقى موضوع تساؤل، ونقد، ومراجعة على الدّوام، لوجود الإقرار الأول بالإيهام والخداع. وهذه جنبة من جنبات الفكر المركب؛ إذ إنَّه لايركن لجانب دون غيره ولا هو يختزل الواقع بتفسير بسيط وواحد، بل يدع الأمور مفتوحة، ويجعل الواقع ومشكلاته مَعرَضاً للحلول، وإمكانات التّسوية، والفهم المشترك.

وإتماماً لما أشّرته من ضرورة الانطلاق من اللايقين للبحث عن مشترك مقاوِم، فهنا يبدو الهدف الأسمى لأيّة مهمة بشريّة، فالمقاومة، التي أسّسنا لفكرتها مع مواجهة

الواقع، ستتضخم لتواجه كل تجليات الواقع المزيَّف، بما في ذلك صور الدّعاية، وألعاب التّقنيّة، وإعلام السّلطة، وهنا يرى موران أنَّ على المقاومة أنْ لاتكون سلبيّة بالمطلق، بل يجب عليها أنْ تعمل من أجل التّحرر والعيش، وليس بصورة شاعريّة أو مفارقة لايمكن أنْ يحتويه الواقع من يقينيّة بسيطة، بل بصورة يمكن أنْ تؤسس لواقع أفضل، يتعكز بفضيلة المقاومة لأجل صناعة مشترك إنسانيّ، هذا المشترك الذي هو العيش في الأرض، وهذا العيش بدوره يحتاج إلى الثّقافة، إذن الثّقافة والأرض هي أُسس الاجتماع البشريّ للعيش المشترك، فهل يمكن أنْ نُحسِّن المواءمة بين الجزء الواعي واللاوعي في المعادلة لأجل إعادة بستنة الأرض لإنسانٍ متحررٍ ومقاومٍ، في الآن نفسه، لكل خداع؟[٨] وهذا ما يوجب ديمومة البحث عنه.

وهنا يتبين أن التعقيد أو التشابك هو سمة العالم وهو سبيل فهمه كذلك. فقد حاول موران أن يقترح مساراً معرفياً جديداً لفهم الوضع البشري بكل مايتعلق به من تداخلات وتشعبات ترسم صورة تركيبه وتعقيده، ولذلك يلزم التفكر في:[٩]

أ- العلاقة بين الذّات والموضوع في المعرفة.

ب- الاعتماد على عوامل مختلفة ومتداخلة لفهم الظاهرة الإنسانيّة من قبيل (العوامل النّفسيّة والثّقافيّة وحتى البايولوجيّة والاقتصاديّة والسّياسيّة...).

ت- فهم الجدل بين الفوضى والنّظام، ذلك الجدل الذي يحكم العالم برمته.

ث- التّفاعل بين الظواهر الإنسانيّة وما ينبثق عنها وما يتعلق بإمكانات التّنظيم الذاتي لها.

ج- فهم الحوادث التاريخية من ناحية فاعلها، وتميزها وفرادتها وتماميتها او كليتها.

وهنا يتبين كيف أنَّ الفكر المركب هو مقاومة لكل عمليات الاختزال التي جرت وتجري اليوم، إذ إنَّ الفكر الاختزاليّ المنغلق (المغرور) هو المنتج من جهة أخرى لكثير من صور الشّمولية أو الكليانيّة التي تريد حصر الحقيقة ومعاييرها بيد واحدة وتصور أوحد، بالرّغم من أن الاختزال هو عمل على الجزء الذي يشمل الكل والشّموليّة هي التي تعمل على الكل الذي يشمل الاجزاء، إلّا أنَّ التداخل حاصل إذا ركنا لاحدهما بوصفه الحل الامثل والاوحد دوماً.

وبذلك يرى موران أن الشمولية تشترك في المبدأ البسيط نفسه الذي يغذي الاختزال وهو محاولة دمج الاجزاء في كل لا ملامح حقيقية له. بينما الحقيقة التي يفرضها التعقيد علينا: إن الاجزاء في تفاعل مستمر فيما بينها وبين أيَّة كليات لها علاقة بها، وان ذلك بقدر ماهو مسند علميا – بايولوجيا فهو ينطبق على الواقع الاجتماعي.[١٠]

ولذلك ستكون نظرية المعرفة والنّظام المعرفيّ المعقد مقتدراً اكثر من النّظام التّقليديّ، وفي الآن نفسه لن يكون له مركز او موقع يمتاز فيه عن غيره، لأن معرفته ستكون منفتحة على مختلف مشكلات المعرفة الجوهرية، وسيعمل هذا النّظام المعرفيّ على فحص ادوات المعرفة وشروط انتاجها، من البعد الدّماغيّ- العصبيّ الى البعد الاجتماعيّ- الثّقافيّ، وهنا نكشف الثّورة التي يمكن أن تحصل مع الفكر المواجه للتّعقيد (المركب) في كونه فكراً مغايراً لكل المركزيات والاختزالات.[١١]

تعود الجذور الاولى لتنظيم المعرفة بشكل انساق علمية مضبوطة منهجياً إلى ارسطو وما قدمه من منجزات ولاسيما في المنطق، واستمر ذلك الهم حتى اسهام ديكارت الذي شكل اضافة مهمة على المنجز الارسطي حين ثبت عناصر وقواعد التفكير الاساسية وبين معنى الحقيقة بانها الواضحة والمتميزة والبسيطة، ووضع قواعد التفكير الصحيح، واصبح كل ذلك يسوق بانه المعرفة الجيدة دون غيرها، مما ادى الى تخصص اكثر وتجزئ اشد واختزال اكبر.[١٢]

وبناءً على ماسبق، تتبين تصورات موران بشأن النّمط التّقليديّ السّابق على ضرورة ظهور الفكر المركب- المتشابك وضرورة تنضيجه لمواجهة واقع يتسم بالكثير من ولاسيما بعد فشل المنظومة التّقليديّة في هذه المواجهة، تلك المنظومة التي قامتْ على أُسس عدة منها[١٣]:

١- النّظام

٢- الفصل والتّخصص

٣-الاختزال

٤- فعالية المنطق التّقليديّ وصلاحيته.

وبما أن المعرفة ولاسيّما العلمية منها هي نشاط معقد للغاية فذلك يجعله من الصعب أن يحتوى وفق القواعد المنطقية الصورية والمنهجية التقليدية فيه. لأن الهدف الاس

للنظرية العلمية سابقاً هو تطوير صورة العلم لجعلها نظاماً صارماً ويقينياً وواضحاً ودقيقاً وذلك كله تعرض اليوم لاهتزازات كبرى. وعليه يمكن للنظريات العلمية التقليدية أن تكون ذات قيمة في عالم مثالي لكنها لا تستطيع المساعدة في الممارسات العلمية الحقيقية التي تهدف إلى النجاح في هذا العالم الملموس.[١٤] ولعل الفكر المركب هو الحل.

ولا يراد من التّركيب هنا أنْ يكون الحل النّهائيّ بل المسار للوصول لحلول أكثر احاطة بالمشكل المطلوب حله، يقول موران: "يحق لنا أنْ نطلب من الفكر أنْ يزيل الغشاوات والعتمات، وأن ينظم ويوضح الواقع، وأنْ يكشف عن القوانين التي تحكمه. لايمكن لكلمة إلّا أنْ تعبر عن حيرتنا وارتباكنا وعجزنا عن أنْ نحدد الأشياء بشكل بسيط، وأنْ نسميها بوضوح وأنْ نرتب أفكارنا"[١٥]. وفي اتمام التصور عن الفكر المركب نجد موران يقول: "إن التركيب في تصورنا هو مايجبرنا على ربط مفاهيم تبدو في الظاهر مُقصية لبعضها بعضاً بصفة تكاملية، وتنافسية، ومتضادة في آن"[١٦].

واذا كانت طبيعة عالمنا وفق التصور السّابق، وهو صحيح، فذلك ينشئ من جانب آخر منهجاً لفهمه. وللمساعدة في فهم كيفية فهم وتأويل ناجع لما يحيطنا من الظواهر، يمكن أن نبين المبادئ التي وضعها موران لتحقيق هذه الغاية، وهي:[١٧]

أولاً: المبدأ الحواريّ: حوار هنا بين الاطراف المتعارضة في أصل بايولوجيتنا أو في حياتنا عموماً، فبين الطّرف الذي يريد الاستمرار والتّوالد والطّرف الذي يريد الإنهاء والاختلال بدل الاستقرار ندية وتجاذب وهنا يتضح معنى في حياتنا حتى على مستوى البنية الدّاخلية لأجسادنا إذا مافهمنا عمل الحامض النّوويّ والحامض الامينيّ، إذ الأول للتّوالد والاخر للتّلف والاندثار أو إعادة التّشكل.

ثانياً: مبدأ الارتداد التّنظيميّ: وهذا المبدأ يتضح بمثال الزّوبعة التي تشكل في كل لحظة منها منتَجاً ومنتِجاً، وكذلك لو نظرنا للأفراد والمجتمع، فعلاقتهما هي علاقة ارتداد وتنظيم إذ يشكل الأفراد المجتمع ليعود هذا المجتمع ويعيد تشكيلهم أو تشكيل غيرهم.

ثالثا: المبدأ الهولوغراميّ[١٨]: ويعني أنّ داخل كل منا في جزء صغير منه صورة عن الكل الذي هو نحن، وهذا الوجود للكل في الجزء بايولوجياً له انعكاسه اجتماعيّاً إذ إنّ الكل الذي هو المجتمع ينوجد في الجزء الذي هو الفرد عبر الأوامر والتّوجيهات والتّنظيم المؤسسيّ والعائليّ وهكذا.

هذه المبادئ توضح لنا صورة التي نحن فيها؛ ولذلك تبدو الظاهرة الإنسانيّة أبعد ماتكون عن قدرة الاختزال المبسط المتطرف عن كونه منهجاً صالحاً لفهم ولو ظاهرة جزئية وفرديّة لأحد منا، ومما سبق تتبين مساحة التّأزم والصّعوبة.

ثانياً: علم الأزمات والواقع المجتمعيّ:

كانت ولاتزال الكثير من قسمات وجه العالم مثقلة بالأزمات، ممتلئة بالتخلخل والهدم والبناء ومحاولة التنظيم الدّائم رغم توازي ذلك بالانحراف عن النظم. لذلك نجد موران يحدد مفهوم الأزمة[١٩] بأنه: اختلال التوازن وغياب اليقين والاخفاق في كبت الانحرافات وضبطها. وبذلك فهي تنامي للفوضى. واقراراً منا بأن عالمنا منخور بالأزمات فيجب في ذلك فهم مسارات هذه الازمات وما يمكن ان تخلفه، فالأزمة تستدعي وجود مسارين: الأول: يحفز الابداع والخيال والتقدم، والثاني يبحث عن الخلاص في الماضي والتعلق بحلول الانظمة التقليدية والتدخلات القدرية،[٢٠] ولذلك فليس كل ازمة تعد ذات مردود ايجابي، فقد تذهب بالمجتمع الى اسوء مما كان في النظام الذي اعترته الازمة.

كل ماسبق هو إقرار بوجود أزمات مختلفة الميادين، فنحن هنا أمام علم للأزمات، يجتره موران لغرض التّشخيص من جهة، ومحاولة فتح الأُفق للعلاج من جهة اخرى. وبكلمة اخرى يعني Crisisology أو علم الأزمات المصطلح الذي "يكشف به عن المستنقع الذي وقع فيه البشر في نهاية القرن العشرين نتيجة الحروب والتلوث والتقدم التقني السّريع وتكاثر الأمراض وتغير نمط الحياة على الأرض والتّهديد الكبير الذي بدأ يلوح في الأفق القريب للتّواجد الإنسيّ على الكوكب"[٢١]. يعني علم يوظف الفكر التّعقيدي لفهم ما عليه حالنا والبحث عن كيفية تحاوزه نحو الافضل.

لكن كيف لعلم الازمات أن يكشف موضوع الأزمة، وما طرق تشخيصها؟ يجيب موران بأن الأزمة لاتظهر الا بتوفر مستويات ثلاثة هي: **المستوى النظمي** ويعني وجود نظام (اجتماعي او اقتصادي او سياسي...) **والمستوى السّبراني** وهو قدرة هذا النظام على التنظيم الذاتي والعمل الالي، **والمستوى الانتوربي العكسي** ويشير الى امكان قياس تراجع الفوضى حين اضطراب النظام وفهم كم وكيف الانحرافات الحاصلة في التنظيم الذاتي.[٢٢] ولذلك نجد أن الأزمة لاتظهر إلّا حينما يفقد النظام قدرته على التنظيم الذاتي

وتبدو الانحرافات في هيكليته واضحة للعيان بل وقد تشكل نظاما مغايراً للسابق وهنا تستقر هذه الانحرافات لتكون سياقاً وتنظيماً جديداً.

ويقتضي علم الأزمات أنْ نقوم بمراجعة لموضوع الأزمات الذي أشّره موران، وهو الحياة الاجتماعية، او المجتمع الإنسانيّ حيثما وجد في الزّمن الرّاهن، إذ بدأ الاحساس بتفاقم كل شيء حولنا منذ مطلع القرن العشرين وتضخم أكثر بعد الحرب العالمية الثّانية، والى اليوم، وإذا كان موران قد حدد مراحل الأزمة بأنماط ثقافيّة تجلّتْ على وجه وقسمات المجتمع الجديد، مثل أزمة الحياة البرجوازيّة والفرديّة، وما يتجلى عنها من أزمات الشّباب والتّأنيث وأزمات الايكولوجيا، ناهيك عن أزمات السّياسة والتّهديد بالحرب، فكل أزمة مما سبق ترتبط بطريقة إعادة انتاج قيم المجتمع، وافكاره ومواقفه، وترسم معالم مستقبله الذي يبدو دوماً مع هذه الفوضى غائماً ولاجئاً للتّشتت والضياع ولاسيّما بعد هيمنة الثّقافة الجماهيريّة بكل اشكالها.[٢٣]

وما كان يحصل ما حصل إلّا نتيجة لمراحل تاريخية رافقتْ صناعات ثقافية وتسليعات معرفية، لتسطيح الفكر وجعله اختزالياً او شبقياً اكثر مما هو عليه في يوم ما، ويورد موران في كتابه روح الزّمان ثلاثة تمظهرات للتّسلع الذي حصل للبشر حتى صار على ماهو عليه حالنا من وضع مأزوم بكل ما يحيطه وهي:[٢٤]

١- القوة الصّناعيّة في بداية القرن العشرين وما نتج عنها من قوى استعماريّة للأرض والشّعوب، واستنزاف لمواردهم الاقتصاديّة.
٢- التّصنيع الثّاني الذي انتقل من الأرض الى المخيال الفكريّ والطموح والاحلام حيث تم العلم على تصنيع كل ذلك، وفي مقابله تم استعمار النفس البشريّة وليس الموارد الاقتصاديّة فحسب.
٣- التّصنيع الثّالث الذي ارتبط بالإلكترونيات ومتعلقات الصّناعة النّوويّة، وما انتجته من تسطيح وابتذال في متطلبات المعرفة والفهم وهنا ظهرتْ الثّقافة الجماهيريّة.

ولا يخفى على كل منشغل بالهم الثقافي اليوم صدق ماقدمه موران من وصف، وبالرّغم من أنَّ تشخيصاته جاءتْ في مابعد الحرب العالميّة الثّانية بسنوات قليلة إلا أنَّ هذا التّصور ازداد عمقاً اليوم مع الالفية الثّالثة، وتحول الى تطرف في الازمة اكثر حيث هيمنة شبكة المعلومات وشركات الدّعاية والجشع الاقتصاديّ، وأزمتنا اليوم هي "أزمة

إنسانية شاملة، وقد ضاعفت الأمة الاقتصادية من حدتها. وفي عمق هذه الازمة الشاملة فقدنا دعائمنا. لقد نجح الغرب في فترة من الفترات في إقناع مختلف الشعوب بأن التقدم هو القانون الوحيد الذي يقوم عليه التاريخ، وأن كل الامور ستؤول الى حال أفضل في المستقبل... لكن مستقبل هذه التوجهات انهار... وعندما ينهار المستقبل، وعندما يكون الحاضر محكوماً بحالة من الضعف والتوتر فلا يبق إلّا الماضي للاحتماء به"[٢٥].

يوفر علم الأزمات دليلاً جيداً لتحديد مكونات الازمة، ولكنه لايوفر تقنية تحليلية خاصة، إذ إن كل ازمة لها تركيبها الخاص، ولو امعنا النظر في أيّة أمة من الأزمات فلن نجدها تحيد عن **مكونات رئيسة** هي[٢٦]:

١- **فكرة الاضطراب:** ويقصد به الاضطراب الدّاخلي الذي يحصل في النظام، ذلك الاضطراب الذي يزامن عملية التشويش وفقدان الحل والتيه، والذي قد يستثير في الان نفسه البحث عن الحلول.

٢- **ازدياد الفوضى وغياب اليقين:** يعتقد موران أن كل نظام يحوي في داخله فوضى، ولكن هذه الفوضى مكبوتة بنسبة معينة ولا تظهر إلا حين بداية الاضطراب وحينما تزداد تؤدي الى غياب اليقين وتراجع الحتميات.

٣- **تعطل/تحرير:** إن النظام حين الأزمة يفقد القدرة على التنظيم الدّاخلي ويتيبس، ويصبح مشلولاً، وحين هذه الحالة من التعطل تظهر كل المكبوتات والانحرافات التي كان يسيطر عليها التنظيم الدّاخلي. بذلك فالتعطل هو موت وتحرير.

٤- **تطوير ارتجاعات ايجابية:** اذا علمنا ان الارتجاع السّلبي هو مايعيد النظام الى قدرته على كبت الانحرافات فيه، فإن الارتجاع الايجابي هو مايطور من قابلية الانحرافات لأن تظهر اكثر وتسيطر بصورة متضخمة وكأنها انتشار لوباء وهنا تتفاقم الأزمة.

٥- **تحويل التكاملات الى تنافس وتعارض:** وذلك يعني أن العلاقات التكاملية وعلى سبيل الفرض بين افراد المجتمع في حال الأزمة تتحول الى علاقات تنافس ا وتضاد وصراع وتزداد تعقيداً وعشوائية وقد تكون ائتلافاتٍ مؤقتة وزائلة.

٦- **ظهور وتزايد الخصائص المثيرة للجدل:** وفي هذه اللحظة تنبثق خصائص غريبة عن النظام وبعد ذلك تبدأ بالتحقق، وثم تظهر وتجمح، وهذا يعني أن كل أزمة لها

خصوصيتها فتظهر خصائص كانت كامنة في النظام وغير ظاهرة للعيان تختلف عن مخرجات الازمات الاخرى.

٧- **تعدد المآزق المزدوجة:** مثال ذلك ماتواجهه السّلطة في لحظة ظهور محتجين ومطالبين بإجراءات معينة لايمكن أن تتسامح بها السّلطة ولا أن تترك هذه المطالب بلا تنفيذ، وفي المقابل فإن المطالبين من الافراد والجماعات والذي اسهموا في الازمة للنظام إذا ما تحققت مطالبهم وتمت تلبيتها سينتصر النظام الذي يراد له ان يتغير بفعل الأزمة، وبذلك فالمأزق المزدوج هو مكون مثير داخل الأزمة.

٨- **اطلاق انشطة البحث:** وفي هذا المكون تتضح ضرورة البحث عن الحلول كلما تفاقمت الأزمة اكثر مما كانت عليه، وقد تبدو بعض الحلول راديكالية واصولية، ولكنها دائماً ما تحدث بمنطلق البحث عن الخلاص وايجاد الحل، وعليه فللأزمة طابع الصحوة. وقد يوصل البحث إلى اصلاح النظام أو الى تجاوزه عبر اعادة الهيكلة والثورة.

٩- **الحلول الأسطورية:** وحينما تبدأ عمليات البحث عن الحل، قد تظهر بعض الخيارات في جعل الحل اسطورياً او سحرياً، وبينما البعض يحاول ان يحل الأزمة في البحث عن مصدر الشر ومعناه داخل النظام او في الازمة عموماً نجد الآخرين يبحثون عن كبش فداء وجسم غريب يحاولون طرده من الهيكل النظامي وكأنه هو من يختزل مشاكله وهو مسببها ايضاً، وهنا تتضح فكرة الحل الاسطوري في تدمير مذنبين خياليين. وفي المقابل قد تستعمل الأزمة للتبشير بأسطورة امل غير واقعي يلصق به كل التضخيم والتفخيم والتبجيل والتقديس.

١٠- **جدل هذه المكونات:** يرى موران أن المكونات السّابقة الذكر للأزمة لا تعمل منعزلة، بل تعمل وفق مجموعة من التفاعلات فيما بينها ويحيل احدها على الآخر.

وبقدر ما يبدو مفهوم الأزمة واضحاً أو مؤشراً له وعليه، فإنه ي الوقت نفسه مفهوماً غنياً بالدّلالات والتشعبات والاحالات والتفاعلات. ولا تعني الازمة دوما الخلاص وتوفير الحل وخلق النظام البديل ا والانتصار للانحراف الذي حصل داخله، بل قد تقود الى العودة الى انظمة اسوء مما هو قائم او ان تقبل بما هو قائم حين عدم قدرة الانحرافات على تطوير نفسها كخطاب بديل.

ولو طبقنا ذلك على الوضع المتأزم اقتصادياً- عالمياً فسنجد من المهم جداً ان نفهم أن المخرج الأساس من ازمات اليوم لن يكون سهلاً ابداً لأنه تراكمي وتاريخي وكذلك لأنه في الوقت نفسه يخضع حتى حلوله لمايريد، فالحلول المقدمة لابد أن تمر بمصفى الجماهيرية والتشتت والاختزال، ومن الحري بنا أن نعي جيداً أن الفكر التحرري والعلاجي هنا لابد له من مراوغة وحيلة لغرض اعادة الإنسان الى الايمان بهويته الإنسانية واسناده لغرض الاستمرار في مقاومته لمايمكن ان يسلبه هذه الهوية، وهذه واحدة من مهمات الإصلاح التي مكن ان يضطلع بها الفكر المركب.

يظهر "الإصلاح" دائماً في فترة الأزمة التي يجب أن توضح خطوات الإنسانية في طريقها، وهو يفتح آفاقاً معرفية جديدة، ويجعلنا في مواجهة عالمين، أو بالأحرى رؤيتين للعالم: الأول: الموروث من الحداثة والرّؤية الكلاسيكية للعلوم، والآخر: متعلق بتمزق الحداثة ومتوافق مع التطورات الجديدة في العلوم (الدّيناميكا الحرارية، الفيزياء الدّقيقة، الفيزياء الفلكية)، والأولى مبنية على أفكار النظام والحتمية والضرورة والوضوح واليقين والقياس، بينما الثانية تقوم على وحدة النظام والفوضى، وعلى عدم اليقين والغموض والفرص والمخاطر. وما يجمع الرّؤيتين هو ايجاد رؤية متشابكة ومركبة تجعلهما داخل صندوق مشترك بغية تقدم العلم وتطور الفكر،[٢٧] وبذلك يتحول الاصلاح الى مسيرة بحث باتجاه عدم الاختزال والانتقاد الذاتي والانفتاح وايجاد منهج قادر على مواجهة هذا التعقيد في الواقع والناجم من كل تفرعات ماسبق.

ثالثاً: الذّات وأشكال الهويات واستمرار التعقيد:

الكائن الإنسانيّ، بما هو ذات، يتصور على أصناف عدة، وفق موران، وهي أصناف لا تختزله وانما تتيح فهماً منفرداً له، وهي:[٢٨]:

١- **الإنسان المفكر:** وهو صاحب الذّهن العقلانيّ رغم أنه يصنع مجموعة من الهذيانات والحماقات.

٢- **الإنسان الصّانع:** وهو الإنسان الذي يتقن مختلف صناعة واستعمال الأدوات والتّقنيات رغم أنه هو من صنع الكثير من الأساطير منذ أزمان سالفة.

٣- **الإنسان الاقتصاديّ:** وهو الذي يمكن ان يعرّف من مصلحته الخاصة، وهو نفسه إنسان الاستهلاك والذي انتج مجموعة من الألعاب والتّبذيرات.

ولو جمعنا ما بين هذه الأصناف من تقاطعات سنجد أنَّ **الحمق** هو السّمة المشتركة بينها؛ لذلك فالإنسان كائن أحمق.

ورغم سمة الحمق هذه إلّا أنّه يعمل في الجانب الاخر على صناعة جماعات وهويات يتصورها متممة لوجوده وحقوقه، انطلاقاً من منشأ الثقافة الذي سنعالجه في محطات مختلفة في هذه الدّراسة.

عماد كل مجتمع ثقافته، والبحثُ في هوية أيّ مجتمع هو بحثٌ في جانب من جوانب ثقافته، وهذه المعارف، والفنون، والعلوم، والمعتقدات، المسماة ثقافة، تتضمن في داخلها نوعين من الرّأسمال، يمكن التّصنيف حسبهما، وهما: "**رأس مال معرفيّ وتقنيّ** (الممارسات والمعارف والمهارات والقواعد)، **ورأس مال ميثولوجيّ وطقوسيّ** (المعتقدات والمعايير والممنوعات والقيم). إنَّه رأس مال يتصل بالذّاكرة والتّنظيم كما هو حال الموروث الجينيّ بالنسبة للفرد"[٢٩]. ويمكنني أنْ افترض مبدئيّاً أنَّ كل جزء من ثقافة أيّ مجتمع بإمكانه أنْ يخلق نوع من هوية تَطغى، في بعض الأحيان، فتكون هوية عامة، وفي بعضها تنحسر فتكون فرعيّة. ولذلك كانتْ الكثير من الهويات الحالية هي نتاج لما بيناه من الثقافة الجماهيرية، ومن المؤكد أن لكل فرد منا هويته الخاصة التي يشار لها بالانا أو الذات والتي لاينازعه أحد في القدرة على الاستقلال فيها، وقد يبدو الاستلاب ضداً له إلّا أن الفرد يبقي قادراً على أن يقول أنا، ويبقى رغم ذلك مستقل من جهة وتابع من جهة اخرى، من جهة البيئة المحيطة والمؤثرة دوماً في صناعة الانا او في تكوين هويتها، وبعد هذه الهوية التي تبدو كذلك معتمدة على البايولوجيا واستبعاد ما لا يلتقي مع الجسم والوعي به داخل الذات، يمكن أن نؤشر على وجود هويات خارج الذات او تنشأ بالعلاقة بالذوات الاخرى ومنها:

١- الهوية الاجتماعيّة:

انتقلتْ الهويات الاجتماعيّة بمراحل مختلفة من النّواة الأولى، التي هي الأُسرة، إلى الأكبر حجماً التي هي الدّولة، وهذه الهوية متعدد بتعدد الأسر في الأولى، والدّول في الثّانية، ويمكن للحديث عن الدّولة العالميّة، بوصفها الأنموذج المتجاوز لهذا التّعدد في هويات الدّول، لكنه لايستطيع أنْ يقضي على أيّ تعدد في مستوى الأفراد والأُسر؛ فتمايز الأفراد واختلافهم سيبقى هو ماهية الفرد ومعناه، لكنه في الهوية الكبرى سيبحث

عن المشترك، إنْ تهيأت ظروف ذلك البحث. وإنني لأجد السّمة البايولوجية التي حددها موران للكائنات الحية قابلة للانعكاس على الهويات المجتمعية، والعلاقة بينها، فالتفاعلات التي تحدث بن الكائنات الحية مجتمعة "إمّا ذات طابع إضافي تكاملي (من اتحاد، وشراكة، وتعايش، وتعاون)، أو ذات طابع تنافسي (من تسابق، وتنافس)، وإمّا ذات طابع خصومي (من طفيلية، وامتصاص، وافتراس)"[٣٠]. وكل ذلك تحدده الثقافات التي تمتاز بصدارتها في عوامل تحديد الهويات الجمعية دوماً.

وفي عودة لمهمة الثّقافة فإنّها ستكون هنا "المصدر المنتج/المجدد لتعقيد المجتمعات البشريّة. فهي تدمج الأفراد في الاجتماعيّ وتتحكم بتطور تعقيدهم الفرديّ"[٣١]، وفي مسيرة الانتقال من النّواة الاجتماعيّة الأولى إلى مجموعة الأفراد، الذين يحكمهم نظام، أكثر من كونه عائليّ، هو المجتمع، سنجد أنّ الفرد قد غادر التّأسيس الأول من القيم والمعتقدات والمعارف ليدخل في آخر يزيده تعقيداً وإما إنّه سيعزز ما أكتسبه من العائلة أو سيجعله موضوعاً للرفض والإزاحة، وهنا تبدأ الأدوار الثّلاثة بعملها في تسيير العلاقة بين الأفراد والمجتمع:

أ-**التّداخليّة:** ويقصد بها كون الفرد بداخل المجتمع، والمجتمع نفسه سيكون حاضراً داخل كل فرد منا.

ب- **الدّائريّة:** ويقصد بها الإنتاج المتبادل بين الأفراد والنظام، الذي هو المجتمع هنا، وهذه التّبادليّة الدّائريّة قد يؤثر فيها بُعد الحرية الشّخصيّة، إلّا أنّه لا يلغيها تماماً.

ج- **الحواريّة:** ويقصد بها أنّ الأفراد في حوار تكامليّ مع المجتمع من جهة، ومن جهة أخرى متضادين معه. وتلك الطبيعة نابعة من فهم المجتمع بأنّه جمعيّ، وتنافسيّ، ولا يركن إلى السّكون والتّشابه.

ويمكننا القول إنّ الأُسرة تُكسِب الفرد هوية شخصيّة، قد يعمل المجتمع على تجذيرها، أو أنّه سيعطيه هوية أخرى، أو أنّه سيضيف على ما لديه هويات مختلفة دون المساس بما لديه. وهنا تظهر الهويات الدّينيّة، والمذهبيّة، والعرقيّة، وغيرها. وفي المرحلة الثّالثة بعد الأسرة والمجتمع، وهي مرحلة الدّولة، سيتمكن الفرد فيها من الحصول على الهوية الوطنيّة، والتي هي الحاكم الأبرز اليوم في الدّول والمجتمعات الحديثة. فكما "أنّ التّنظيم الدّماغيّ- البايولوجيّ يشق الطريق للمعرفة ويفرض عليه، في الوقت نفسه،

ضوابط تحبس المعرفة وتحد منها، كذلك التّنظيم الاجتماعيّ- الثّقافيّ، الذي عندما يفرض ضوابطه الخاصة، ومركزيته الاجتماعيّة، التي تحبس المعرفة، وتحد منها، يفتح ذاكرته، ولغته، ومَنطقِه على المعرفة، والفكر. وفتح بذلك الذكريات، والتّقاليد، والمفاهيم، والمقولات، والأفكار، والنّظريات، ورؤى العالم، والحوارات، والإثباتات، والنقاشات، والتّأملات وأشكال الوعي"[٣٢].

وبناءً على ماسبق، ستكون الهوية، والثّقافة، والحرية الشّخصيّة، مع الدّولة، موضوعاً للتحكم والإدارة، ومهما سيبدو لفرد ما أنَّه متحرر من التّحكم فإنَّه سيقر بالوقت نفسه بانخداعه؛ لأنَّ هذه الفكرة بحد ذاتها نتيجة تحكم سلطة سياسيّة. وسنجد موران فيما بعد يعمل على هذه السّلوكيات بالأنظمة الشّموليّة الدّكتاتوريّة، بالرّغم من قوله أنه ومنذ "الإمبراطوريات القديمة إلى الأُمم الحديثة تُشكِّل الدّولة جهاز التّحكم والسّيطرة المركزيّ للمجتمع"[٣٣]. وهذا النّظام لايمكنه التّحكم والإدارة الصارمة دون أنْ يكون متكأ أو معتمداً على إنتاجيات وأُسس من قبيل:

أ- إدارة المعرفة.

ب- احتكار العنف.

ت- التّحكم بالسّلطات الرّوحيّة.

يمكن للدولة، بوساطة المعرفة، أنْ تنظم المعلومات، والكتابات، والتّعليمات، والأرشيفات، ومن خلال احتكار العنف تستطيع إدارة فاعل وموضوع العنف، بالضّغط، والسّجن، والقتل، وبالسّلطة الرّوحيّة يمكنها أنْ تضفي القداسة حتى على أعمالها وسلوكها. ويعتقد موران أنَّ كل تلك الهيمنات لاتقتل إمكانيات الذّكاء الحر لبعض الأفراد، وهذا يعيدنا لموضوع المقاومة، والتّمرد، الذي عوّل علي في قضايا التّحرر من الأيديولوجيات كافة، بما في ذلك الأيديولوجيا الرّسميّة للدولة هنا. [٣٤]

٢- الهوية التّاريخيّة:

انطلاقاً من الصراع بين النّظام والفوضى تتشكل حركة التاريخ ويستعيد تحريك نفسه، وهذا الصراع بحد ذاته هو تجلي للحرب، فالتاريخ ينشأ ويكتب ويسجل الاحداث وفق منطق الحرب،[٣٥] وينعطف ويغير مساراته وفقها كذلك، وهنا تتشكل

الهويات التاريخية حتى هوية البربريّ والمتحضر والخاسر والرّابح والمتقهقر والمتقدم، ولا يرى موران في التاريخ أيَّ جزم أو حتم لصورة نهايته. ويتضح هنا مدى فاعلية التعقيد بوصفه سمة لهويتنا التاريخية، وهنا يتأرجح بين النظام والفوضى من جديد، فالفوضى مهددة لنا حينما تبين ان تاريخنا متضمن لتعقيد شديد من التسامح والتعدد والحريات وهذا يعنى الصراع، وفي مقابله هنالك التعقيد الذي يجمع البشر في هوية واحدة لمجتمع يعيش وفق منطق التضامن، وهذا الاخير هو العلاج الناجع والوحيد لكل مانعانيه من هشاشه اجتماعية لوضعنا الرّاهن.[٣٦]

٣-الهوية الكونيّة:

يعرف موران هويته لينطلق منها نحو نشدان الهوية الكونية الإنسانية فيقول: "إن مبدئي الاول هو الانتماء الى النوع البشري والى مصير البشرية ومغامرتها، ورغبتي في المساهمة في مصيرها بشكل يعود عليها بالنفع، هذه هي هويتي بالضبط"[٣٧]. ويريد هنا أن يبين أن كون الإنسان جزءاً من مصير العالم هو بالضبط مايمكن عكسه حيث مصير العالم مرتبط بمصير اجزائه، ويضيف أن هذا المصير يجب ان يكون مرفق بإسهام حقيق لمنفعة هذه الإنسانية وهذا الشعوب بالانتماء اولا والمسؤولية ثانياً يجعلان مفهوم الهوية عند موران مفهوماً كونياً مثاليا. ويقول موران: "اليوم، اضحت أجزاء البشرية، التي تتشتت منذ عشرات الالاف من السّنين، مرتبطة على نحو غير واع. لكنها لاتشكل البتة كلاً موحداً يمكن أن نسميه البشرية، بل على النقيض من ذلك، فبعد أن تم دمج المصير الكوني بالمصير التاريخي لغرب، بدأ النظر في دمج المصير التاريخي للغرب بالمصير الكوني، لكن العملية مازالت بطيئة، ومتفاوتة، ومتعثرة"[٣٨]. ولا يمكن مغادرة هذا الانحسار للكوني إلّا بالعمل على استعادة المجتمع الإنساني الذي هو من منظور موران "هوية تنبع من انتمائنا إلى كيان اومي وابوي، والتي تجعلها كلمة الوطن ملموسة، وتحمل الاخاء الى ملايين المواطنين الذين لاتربطنا بهم رابط دم. إنَّ مانفتقر إليه لتحقيق مجتمع انساني، إن صح القول، هو: الوعي بأننا اولاد الارض- الوطن ومواطنوها"[٣٩]. وهنا ينفتح الكلام حول العولمة ومالها وما عليها، إذ إنها اليوم امركة بامتياز، وهذه الامركة هي هوية خاصة ولمجموعة بشرية محددة، وحينما يتم اختزال الهوية الكونية بها فإننا نناقض مفهوم الكوني في ذلك، وعليه فهويتنا اليوم على المستوى العالمي ليست

بشرية مشتركة وانما مستحوذ عليها واسيرة لمتفوق عسكري واقتصادي ابرز يمثل رأس هرم العقل والجسد الغربي.

إنَّ سوء الفهم الذي نعيشه أسبابه متعددة ولكن الأبرز فيها هو أننا لانمتلك وعياً حقيقيا بالمواطنة وكيفيتها، لذلك ينبغي أن نصنع مفهوماً جديداً هو "الأرض- الوطن" ويقصد بالأرض هنا البعد الامومي الذي يتعلق بنا كما نتعلق به، ويقصد بالوطن البعد الأبوي الذي يمتل كالسّلطة فيأمر ويطاع. هذا المركب يعيد انتاج هويتنا ومعناها ومدى التصاقنا بالآخرين والكوكب.[٤٠]

وهنا تبرز نصوص موران و كأنَّها وصايا ورجاءات إذ يرى أننا يجب "أن نُعيد أنفسنا إلى الكون، الذي نعرف أنه ذاهب نحو التبعثر والموت، والذي يشير الينا بموقعنا الصغير الهامشيّ والطرفيّ، ومعارفنا في هذا المجال تعزز هذه الفكرة القائلة بأن مسكننا هو الأرض. وهذا، يسوِّغ، بالنسبة لي، ما أسميته إنجيل الضياع فنحن ضائعون على هذه الأرض، في الكون، فلنساعد بعضنا بعضاً إذاً، عوضاً عن صنع حرب بعضنا على بعضنا الآخر، وهو خلاف الإنجيل الذي يقول لنا إن خلاصنا مرتبط بكوننا لطيفين مع الآخرين. لا، علينا أن نكون لطيفين لأننا ضائعون! ولا مندوحة من إدراك سمة عصرنا الكوكبيّ، ولا يمكننا الامتناع عن واجب المعرفة هذا"[٤١]. وحينما لانكون قد وعينا بمسألة العيش في الارض – الوطن، فإننا سنكون قد غادرنا ركب الحضارة الإنسانية، وهذا يعني أننا امام خيارين لا ثالث لهما: إما ان ندرك حقيقتنا الكونية والتزاماتها، وإما ان نسقط في البربرية[٤٢] التي هي اللحظة الأخيرة لأي مجتمع بشري.

٤-الهوية المستقبليّة: الهوية المجهولة:

يصعب التنبؤ بطبيعة هذه الهوية ولكننا يمكن أن نؤشر احتمالات لصورها مثل[٤٣]:

أ- مجيء مجتمع عالمي.

ب- مجيء الات ضخمة يصعب السّيطرة عليها.

ت- مجيء بشرية ضخمة يصعب السّيطرة عليها.

والاحتمالان الاخيران يقومان على فشل تجربة الهوية الكونية، إذ لو تحققت هذه الاخيرة لما كان الكلام في هذه الاحتمالات على حاله.

وتنبع هذه التصورات من التفاؤل والتشاؤم المرافق للكشوفات العلمية، والتي بينت لنا امكان المزاوجة بين التقنية والبايولوجيا، (البيوتيقا) وامكان البحث عن التدخل التقني في تحسين الجينات البشرية ونوع المولود ومن ثم الإنسان، وهنا بين مستبشر بالخلاص من الامراض والعاهات ومتخوف من الهيمنة والسّيطرة وصناعة اشخاص بلا اختيار او بصفات غيرهم ولهم ما يريده الاخرون قبل ولادتهم اصلاً، علاوة على احتمال سيطرة الرّوبوتات العملاقة او المصنوع على الصانع، أي الآلي على الإنسان وهذا مايتم تناوله مؤخراً في السّينما والدّراما العالمية. وعليه تبقى الهوية المستقبلية مفتوحة على مختلف الاحتمالات والتي افضلها صعب التقبل.

رابعاً: المنظومة الايكولوجية والمنظومة المفتوحة والثالوث البشري:

تتمة لما تصوره موران من شأن الهويات من الحري بنا أن نسلط الضوء على بعد آخر من المؤثرات في تكوين المعقد الذي هو الإنسان، ويمكن جعل هذا التصور نوعاً من فهم ازمة الهوية ومنظومات الفعل البشري، فهو يرى أن الإنسان بماهو فرد او مجموعة يشكل مدلول **المنظومة المفتوحة** من ناحية مايلزمه من الثقافة والخصوصيات والمشتركات في الافكار والسّلوكيات والمعارف، وهذه المنظومة إنما سماها بالمفتوحة لأنها تحتاج دوماً إلى التغذية من محيطها الخارجي بمادتها وطاقتها ولذلك فهي لايمكن أن تدوم دونما الخارج، وهنا يتبين أن الدّاخل الذي هو الإنسان لايمكن ان يستمر ويبقى هو هو دون الخارج الذي هو البيئة المغذية له، والذي بتغيره سيتغير مستواه وبنيته وفعله. ومن ذلك يبدو أن المنظومة المفتوحة " لاتستطيع أن تجد في ذاتها التبرير لتنظيمها الخاص، فهنالك، دائماً عنصر لايمكن تقريره يعود إلى الخارج أو الى المنظومة الايكولوجية"[٤٤].

اما **المنظومة الايكولوجية** والتي تتعلق بالبيئة والمحيط او الطبيعة المحيطة بنا، فهي منظومة لاتقتصر على الجانب المادي فقط منها، وإنما تضم في ثناياها القدرة على التنظيم بفعل الاخرين والمؤسسات والاجراءات الجمعية والفردية المحيطة بنا، ولذلك "فإنَّ المنظومة الايكولوجية الاجتماعية المدنية هي مجموعة مجموعات لاتتكون من مجموع الظواهر المدنية (الطبيعية) حصراً بل تتكون، ايضاً من جملة الظواهر الاجتماعية وجملة الظواهر البيولوجية، والجغرافية، والمناخية، التي تحدد موقعها فيها"[٤٥].

وهذه المنظومات بالتأكيد هي دوماً في جدل تبادل في المنافع والأثر، ومن أهم مايمكن أن تعكسه المنظومة الايكولوجية على المنظومة المفتوحة هو صناعة الوعي الايكولوجي اليوم، والذي هو وعي بالضد من عمليات الاستلاب للإنسان وبالضد من المسار العلمي المتطرف غربياً، ويمكن لهذا الوعي أن يقدم الكثير على سبيل تحرر البشرية ومن ذلك[٤٦]:

١- كشف الوجه المخبوء للعلم، الوجه المظلم، وهو الوجه المسهم في صناعة الكوارث وتدمير البيئة وصناعة التقنيات الميسرة لهذا الخراب.
٢- الكشف عن التناقض في منطق التنمية والتقدم الذي يتبناه العلمويون في حركة التاريخ وعبر كشوفاتهم، ذلك المنطق الذي اريد له أن يكون مسهما في خفض الصراعات والمشكلات الإنسانية وتبين أنه اليوم خلاف ذلك.
٣- تبيان ان الصناعة الحالية وبادعائها التنمية فهي تقتل المنظومة الايكولوجية وبشكل استثمار مجنون وتسمم ارضنا وسمانا وهواءنا وبذلك فهي تسهم في تدمير ذاتي للبيئة.

ولأجل فهم أكثر عمقاً وتعقيداً للإنسان وكونه نتاجاً لتلاقح المفتوح والايكولوجي، فهو كذلك نتاج لتعقيد من طرف اخر، سمّاه موران **بالثالوث البشري (أو التلازمات الثلاثية)** الذي يقترحه في أكثر من مناسبة ونص[٤٧]:

أ- ثالوث "الدّماغ والفكر والثقافة":

لايمكن للإنسان، كما اشرنا سلفاً، ان يكون ماهو عليه دون ثقافة، وهذه الثقافة بحاجة إلى دماغ فردي يتفاعل معها، ويفعّلها، ومن العلاقة بين الثقافة والدّماغ ينتج الفكر، وهذا الفكر يعود من جديد ليحرك الدّماغ ويؤثر عليه وفق متطلبات داخلية وخارجية. وهنا لاغنى لطرف عن الاخر مطلقاً.

ب- ثالوث "العقل والوجدان والغريزة":

وهو ثالوث بايوانثروبولوجي، ويتخذ موران في هذا التصور تسويغاً احيائيا تطوريا، يتكلم عن وراثة الإنسان لشي من الزواحف مسؤول عن الغرائز والعدوانية

ومن الثديات ماهو مسؤول عن الوجدان والحب والذاكرة وبفعل تطوير الإنسان لاستعمال المخ وجدت ميزة وعضو اخر هو الدّماغ- العقل. وبذلك يكشف عن تعقيد اخر هو الحيوانية الإنسانية فماهو حيواني موجود في ماهو انساني والعكس.

والعلاقة بين اطراف هذا الثالوث لا سيادة فيها، فقد تتحكم الغريزة بالعقل والوجدان وقد يكون الوجدان هو الغالب كما العقل في كثير من جنبات السّلوك الإنساني.

ت- ثالوث "الفرد والمجتمع والنوع":

يعيش الفرد من أجل اجتماعه ومجتمعه والمجتمع لايعيش دون حياة افراده، ويحاول كل من الفرد والمجتمع ان يحيا من أجل النوع الإنساني، والنوع عليه أن يخدم الفرد والمجتمع، وهكذا فنحن في دائرة ثلاثية اخرى تزيد من تعقيد الإنسان الظاهرة، وتجعل كل طموحات الاختزال والتبسيط التي تكلمنا عنها بلا جدوى او كلام يجانب الحقيقة في الأعم الاغلب منه.

هذه التركيبات والتعقيدات الثالوثية تجعل امر الفهم الذي اردنا الوصول الى اصلاح معرفي معه يبدو مشوشاً او متشابكاً الى حد كبير، لأننا نجد أن أيّة معرفة منتجة، تتضمن في داخلها، ثلاثة أبعاد الأول: **الكفاية،** وهي القدرة على إنتاج المعرفة، وثانيها: **النّشاط،** وهو الإدراك الذي يتم وفقاً لهذه الكفاية، وثالثها: **العلم،** الذي هو نتاج لهذه النّشاطات. وعليه فهنالك كفايات ونشاطات وناتج عنها، وهذا يقتضي وجود جهاز معرفيّ يحدده موران بالدّماغ، الذي هو آلة بايولوجيّة وفيزيائيّة، وهذا الدّماغ يقتضي الوجود البايولوجيّ للفرد الحامل له، ولا يمكن لأيّ استعداد فرديّ أو جماعيّ-معرفيّ أو قابلية لإنتاج المعرفة أنْ تظهر وتنمو إلّا داخل ثقافة ومجتمع، وهذه بدورها قد احتفظتْ بلغةٍ، ومنطقٍ، ورأس مالٍ، من المعلومات والمعايير. وعليه، فالنّشاط المعرفيّ

يوجد في تفاعلات تكامليّة، وفي بعض الأحيان متعارضة، مع السّياسة والأخلاق والدّين، وفي غالب الحالات نجد أنَّ السّلطة مهما تَغيَّر شكلها ستعمل على تحديد المعرفة، وتقييد إمكاناتها.[٤٨]وهذا يعني أن المهمة معقد للغاية بل أن تحصيلها بمشروع اختزالي او نسقي واحد او في ميدان واحد يبدو مستحيلاً.

وعلى ذلك يمكننا أن نستنتج مع موران أن تعقيد الفكر يتم تحريكه من خلال التوتر الدائم بين السعي وراء المعرفة الشاملة وبين ضرورة الاعتراف بعدم اكتمال اية معرفة، وذلك اللااكتمال ناجم عن التغير في العالم الخارجي وبما ان معرفتنا وفكرنا يترجم ذلك العالم فهو في تغير مستمر كذلك وعليه يبقى امره معقداً ولايمكن حصره بميدان دون غيره حتى العلم الذي يغير نظرياته بين الحين والاخر.[٤٩]

إنَّ المعرفة انتاجاً، ومنهجاً، وموضوعاً، ستكون مرافقة للتأثير الذاتيّ والموضوعيّ، لكن هل يمكن تجاوز التّزييف من ذلك التّأثير؟ وكيف يمكن كشفه؟ وهل أنَّ الهوية، والثّقافة، والموروث هي الأمور الوحيدة التي يمكن أنْ تنتج وعياً زائفاً؟ وباللّغة الماركسيّة: تعد الأيديولوجيات، بوصفها أنظمة معرفة وتقاليد راسخة، هي من تنتج الوعي الزائف، أو من تهيمن على المجتمع وتغرقه بفهومات نابعة من تقاليدها وثقافتها، ومن ثم تصبح هذه الفئات والطبقات مسيطرة على الآخرين عبر التّزييف، وهنا نفهم أنَّ أيّ قالب معرفيّ يتسم بالجمود، ويَدَّعي الحقيقة المطلقة، وامتلاكها، وحصرها به، فهو قادر على صنع الزيف، وتصديره، وشيطنة المغاير، والمختلف، دوماً.

وبناءً على ماسبق، يمكننا القول إنَّ إشكاليّة الفكر وإنتاج المعرفة ستتحول إلى ميادين أُخرى أولها العائلة وآخرها الدّولة، والأخيرة هي الأشد. ففي عالم السّياسة يصبح الاتحاد مع الأيديولوجيات أكثر خطورة وأكثر فتكاً. وحسبنا في ذلك أنْ نطّلع، اطلاعاً بسيطاً، على حروب القرن العشرين، والحروب المقدسة سابقاً واليوم.

خامساً: في تعقيد السّياسة وأزماتها:

مثلما أنَّ الجانب النّظريّ من الشّأن الإنسانيّ يمتاز بالتعقيد فإنَّ جنبته العمليّة لاتغادر هذه السّمة، وبقدر مايجد موران في الدّيمقراطيّة نموذجاً للحكم الأفضل، فهو في الوقت نفسه لا يبرئ ممارسيها ولا حتى بعض أشكالها وصورها من كونها فاسدة وليستْ سوى واجهة للإتجار الرّأسماليّ. "إن موضوع الدّيمقراطيّة كستار أو قناع ايديولوجي ليس

بالخدعة البسيطة، ففي العقلية الانجيلية الامريكية مثلاً، تعتبر الدّيمقراطيّة ثورة ثمينة يجب على الاخرين الاستفادة منها. إن هذه الفكرة تخفي بطبيعة الحال مصالح نستوعبها جيداً"[٥٠]. وعلى الرّغم من ذلك كله ففي الجانب المضيء من الدّيمقراطيّة هنالك نتائج مهمة وعميقة الاثر في الاصلاح الفكري والسّلوكي الإنساني.

يثق موران كثيراً بالنّظام الدّيمقراطيّ، المخالف لما يمكن تسميته بالايديولوجيا الامريكية، فالدّيمقراطيّة لديه نظام سياسيّ معقد، يتأسس على أُسس التّعدد، والتّنافس، والتّضاد في داخل جماعة وطنيّة، وبذلك هي تحد من خطورة الاستعباد، كما أنّها كنظام تتعامل مع الأفراد بطريقة ارتجاعيّة يُنتج فيها المواطنون هذه الدّيمقراطيّة، والتي تستند بدورها إلى اتفاقهم، إذن هم يضعون القانون للعبة النّظام، ويصوتون عليه دون اللجوء إلى العنف.[٥١] وحينما يضع الأفراد قوانينهم ويتبادلون سلطاتهم دون إراقة الدّم، فذلك هو الضد من الاستعباد حقّاً.

إن القبول بالدّيمقراطيّة يعني القبول بالمبادئ الثلاثة الاتية:[٥٢]

١- إن مايقوله الآخر وإن كان مخالفاً لعقيدة الذات أو مثيراً لاشمئزازها فإنه يجب أن تكون الذات مستعدة لتضحية من أجل حق الآخر في التعبير، والعكس كذلك. وهذا نتيجة مقولة فولتير.

٢- إن الدّيمقراطيّة تعيش وتنضج بالتعددية، وهذا يعني أنها وسط صراع فكري دائم، وهنا يجب التسامح دوماً.

٣- وجوب الاعتراف بأن أفكار العدو أو المخالف هي ليست خطأ وإنما هي حقيقة مغايرة لما نمتلكه من حقيقة، وهذا ما أقره باسكال.

ومن المبادئ السّابقة تتبين صعوبات القبول للديمقراطية ممن يمتلك القناعات والاعتقادات الرّاسخة، بل ستشكل حالة من المعاناة. خلاف ذلك تبدو النظم السّياسيّة التي لا تحقق هذه المبادئ مخالفة لأسسها، ولاسيما في الحد من الحريات او القضاء على التعدد، وعليه ستكون هذه النظم نظماً استعبادية- شمولية أكثر من كونها تحريرية.

يلجأ موران إلى تقديم نقد واسع ومكثف للأنظمة الشّموليّة، والذي ألمحنا لبعضه مسبقاً، إلّا أنّنا سنورد ما قاله نصّاً لكي نناقش مع نصوصه إمكانيّة الإجابة على سؤالنا السّابق، وفي ذلك نجده يقول: "لم تتمكن الشّموليّة للقرن العشرين، حتى وإنْ كانتْ قد

تحققتْ، من فرض سطوتها بشكل مطلق على المجتمع. إذ لم تتمكن من التّحكم بالأذهان على نحو شامل ... ولم تستطع أنْ تخضع الاقتصاد إلى قراراتها الاستبداديّة إلّا جزئيّاً، ولم تستطع ولم ترغب في القضاء تماماً على ثقافة ماضي الأمة حيث تجد جذورها"[٥٣]. هذه الممارسة التي تنطلق من النّظام، الذي وصفه بالآلة المليونيّة، تبدو عقلانيّة لأنّها منظمة، ومقنّنة بشكل فائق، ومُعقّد، إلّا أنّها محدودة كما هي حدود أيّة آلة صناعيّة، وهي تعاني من عدم الاتزان لأنّها دوماً ما تعود لإدارة جنونيّة. وهنا تتبين العلاقة بين طرفي معادلة تهتز، في كل لحظة، إلى أنْ تصل إلى الانفجار الأخير الخاص بها. إنّها علاقة الاستحواذ من المجنون على العاقل، ولكنها مُدارة ومُستحوذ عليها من قبل العقل، الذي ينظم قابلية هذه الآلة. ويبقى المخرج الأخير من هذا الاستعباد في ظل الأنظمة الشّموليّة هو إمكان أنْ ينتشل التّمرد والمقاومة واقع أيّة أُمة من الأمم من هذا الجنون والاستعباد، أو اعتماداً على تدخل خارجيّ ترسم حدوده الحروب. ولكن هل من بديل عن هذه الأنظمة؟

تعاني غالبيّة الدّيمقراطيات من الهشاشة، وبمجرد وجود عصيان مسلح، أو انقلاب، أو ثورة عنفيّة، فأنّها آيلة إلى الزوال. والإمكان الوحيد لعدم انهيار الدّيمقراطيّة بترسيخها وتجذيرها كتقليد سياسيّ- اجتماعيّ في نفوس الأفراد وثقافاتهم[٥٤]، وحينها سيكون أفراد هذا النّظام في مأمن من أيّ استعباد ممكن. وستكون لوائح وقواعد اللّعبة هذه هي ما يؤسس لسياسة حضاريّة عالميّة، وهذا ما سنناقشه تبعاً.

أرى أنّ المشكلة التي وقع بها موران هنا هي أنّه عاد لنوع من الأدلجة فهو ينتصر لنظام يعتمد قواعد الاستعباد التي نقدها في الأيديولوجيات الشّموليّة، فإدارة المعرفة والعنف والدّين في المجتمعات الدّيمقراطيّة الرّاسخة والمتجذرة أصبحتْ استعباداً متطوراً ومغالياً إلى حد اختراق كل خصوصياتنا، بل وحتى حرياتنا، التي أمكن أنْ تمثل تمرداً يوماً ما، إلّا أنّها هنا ستُقتَل تماماً، وقد يجد البعض مخرجاً لموران من هذا الإشكال عبر تسمية الأشياء بغير مسمياتها كما نجد مثلاً الاحتجاج بتصوره أنّ الهيمنة التي تقوم بها السّلطات، والنّظام السّياسيّ الدّيمقراطيّ ليستْ استعباداً وإنّما إخضاعاً[٥٥]، إلّا أنّني أجد أنّ الأمر ليس سليماً إذا ما راجعنا قواعد طريقة الاستعباد، وقارناها بما يحصل اليوم في الأنظمة الدّيمقراطيّة الكبرى كبريطانيا وأمريكا مثلاً، فهي تعمل ليل نهار لأرشفة حياة

كل فرد من أفرادها، وتشتغل لأجل تملكه، عبر سلطة المعرفة، وأرباح القروض والمديونيّة، وتضّخ له آلاف الحيل الأمنيّة والوسائل العنفيّة، فاعلاً وموضوعاً كما أشرنا، وبعد ذلك تصنع له بين فترة وأُخرى رموزاً للتقديس والتّدنيس، عبر التحكم بالسّلطة الرّوحيّة، فهل بعد ذلك من كلام يخرجها من كونها ليستْ مشابهة للأنظمة الشّموليّة من هذا الجانب؟ وفي الاحوال كلها تبقى قدرة تحقيق نظام مرضي لجميع البشر امر شبه المستحيل واقعاً.

وعلى رغم ماسبق، نجد موران يحاول أن يؤسس لمشروع بديل، أو لنقل مشروع متمم، للديمقراطية، وهو مشروع سياسة الحضارة، او السّياسة الحضارية، والتي هدفها الاسمى هو تفعيل ماهو انساني في داخلنا وضمانه من الدّولة، وهذا المشروع يقوم على المبادئ الاتية:

١- التضامن
٢- التأصيل
٣- المؤانسة
٤- التخليق

ويقصد بالتضامن ضرورة التفاعل وتحمل الدّور الاجتماعي التكافلي بين الافراد والجماعات والعكس، وعدم التوقف عند ماهو شكلي وصوري، ويرى في التأصيل أنه يعيد للإنسان الاحساس بجذوره وانتماءاته وهوياته دون ان يجعلها اداة لعنف، فهي تشعره بتجذره، بينما الواقع الحالي خال من هذا التجذر وهو يسير بالإنسان نحو العيش تحت يافطة الكفاف القلق الذي يجب أن تتكفل به المؤانسة والتي تعمل على ضمان جودة الحياة وتحسينها، واذا حصلت هذه المبادئ الثلاث سينتج المبدأ الرّابع وهو التخليق الذي ينتج انسانا جديدا مسؤولاً ولا انانيا.[٥٦]

ويمنى موران النفس بأن تكون السّياسة الحضارية سياسة تحقيق العدالة ولاسيما لغير الغربيين، كما يتخيل أن السّياسة الحضارية يمكنها ان تنشد ماهو مشترك من الخيرات الكوكبية لتحافظ عليه وتراقبه وتحميه، ومن جهة اخرى يأمل ان تكون السّياسة الحضارية مطورة لأفضل مافي الحضارة الغربية ومبعدة لما اسوء مافيها، ومكملة لمابين الحضارات من علائق.[٥٧]

وتحقيق ماسبق يقتضي وجود الفكر المركب الذي لا يلجأ لأي من طرفي الخراب (الاختزال والشمول) ويلزمه أن يكون :[٥٨]

١- فكر متعدد الأبعاد: لايقتصر على بعد واحد من أبعاد المعرفة والحياة.
٢- فكر منظم ونسقي: لايسير خارج السّياق والتنظيم.
٣- فكر مُبيأ (ابن بيئته) لايغادر بيئته ويفهم تفاعلاتها من الجزئي فيها وحتى الكلي والعلاقة بين المؤثرات والمتأثرات.
٤- فكر ستراتيجي مرن، يقبل التعديل والتطوير.
٥- فكر متكامل وفي الوقت نفسه مفاوض في ما ليس بيقيني.

ومع تحقق هذه الشروط يمكن تصو الهوية الكونية والبعد الإنسانية الحضاري عبر ربط المفاهيم المنفصلة والمعارف المتجزئة فالأرض ليست مجموعة محيط مادي واخر حيوي وانساني فحسب، وانما هي كل في الحياة انبثاق عن تاريخ التفاعلات فيه، حيث الحياة انبثقت عن تاريخ الأرض والإنسان انبثق عن تاريخ الحياة،[٥٩] وعليه ستكون علاقتنا بالأرض وفق سياق تفاعلي ومسؤول لايقف عند فرد أو هوية ضيقة، وكل ماسبق يحتاج الى رهان آخر يجهز البيئة له وهو التعليم.

سادساً: استراتيجيات التعليم المركب:

يؤسس موران لبنية معرفية وتعليمية متممة لمشروعه في المنهج من مراجعة انبثاق المعرفة الى لحظة تطبيقها، وكما هو مهووس بقضية النسق وبنائه فهو مهتم بدرجة فائقة بمراجعة المنجز البشري على صعيد النظر والممارسة، ومن ذلك يضع مايسميه بالمعارف السّبع الضرورية[٦٠]:

المعرفة الأولى: أنواع العمى المعرفي: الخطأ والوهم:

وهي المعرفة التي يجب ان يتعلمها الافراد في بداية تربيتهم ونشؤهم العلمي، إذ ينبغي فيها الالتفات الى ان المعرفة هي سلاح لمواجهة الوهم والخطأ والخداع الذي يواجهنا باستمرار، لكن علينا أن نعلم أن المعرفة ليست اداة جاهزة ومهيأة للاستعمال من دون ان نقدها وتقييمها وفحصها. لذلك كله تتبين ضرورة ايجاد نظرية في التعقيد لفهم المعارف من ناحية نشؤها ومساراتها والبنى الثقافية النفسية المسؤولة عنها.

المعرفة الثانية: مبادئ المعرفة الملائمة:

هي المعرفة التي يجب ان تعي ضرورة ان يكون هنالك سياق واطار تندمج فيه مشاكلنا من جزئيها الى كليها، وتتفاعل داخله، وتفهم في حدوده، إذ لايمكن ان تكون معارفنا مجزأة ومنفصلة، أو متباعدة وغير متصلة. وهنا تتبين مبادئ المعرفة الملائمة لنا وهي المبادئ المتداخلة والمركبة.

المعرفة الثالثة: تعليم الوضع الإنساني:

أي تعليم طبيعة الإنسان بما هو مركب وغاية في التعقيد، فهو فيزيائي وبايولوجي ونفسي وثقافي وتاريخي واجتماعي في الوقت نفسه، وهذا التركيب قد بعث التشظي في التعليم في مختلف المجالات وبسبب ذلك ضاعت لدينا معرفة الكائن الإنساني نفسه بجزئيات مشتتة؛ لذلك على التعليم أن يجعل من الوضع الإنساني موضوعه الأساسيّ.

المعرفة الرّابعة: تعليم الهوية العالمية- الكوكبية:

يعد المصير البشري المشترك على صعيد الكوكب هو الموضوع الابرز في الغياب عن التعليم والاهتمام المعرفي اليوم، لذلك لزم ان تكون المعارف المقبلة مهتمة بدرجة كبيرة بهذا الشأن وشأن الهوية الناجمة عنه بوصفنا ابناء هذا الكوكب ككل بقدر ما نحن ابناء هوياتنا. ويجب الإلحاح على الطابع المركب لأزمتنا في التعامل الكوكبي من ناحية اشتراكنا في مشاكل من النمط نفسه في الحياة والموت وما يمكن ان يكون مصيراً لنا.

المعرفة الخامسة: مواجهة اللايقينيات:

ويجب فيها العمل على وضع على استراتيجية تعليم لمواجهة ماهو غير متوقع ولا يقيني، وكل ماهو محتمل، فنحن الآن بعد كل ما انتج من يقينيات علمية نعيش في وسط محيط من اللايقينيات نتجت عن يقينيات العلم ومجاوراته. وذلك لايمكن تحقيقه إلا بالتخلي عن التصور الحتمي لتفسير مسار التاريخ الإنساني، وما يدعم ذلك الاحداث الكبرى التي حصلت في القرن العشرين ولم تكن متوقعة، وعليه يجب أن تكون المغامرة مدخلنا لفهم الحياة وتوقع اللامتوقع هو اسلوبنا في مواجهتها.

المعرفة السّادسة: تعليم الفهم:

للخلاص من اللاتفاهم الوحشي بين البشر والذي قاد الى واقع العنف المستشري اليوم يجب التربية على التفاهم، وضخ امكانات التعليم لفهم الآخر ومشاركته على جميع مستويات التربية والتعليم، وهذا اهم المعارف التي يجب ان تركز عليها تربية

المستقبل. وجزء من هذه المهمة أن يتم دراسة جذور اللاتفاهم والعنصريات والاصوليات المدمرة للفهم والجالبة للاحتقار والكراهية.

وكذلك يرتبط الفهم بالتسامح، بوصف الأخير قيمة أخلاقية، وهو يقوم على مستويات اربعة:[٦١] المستوى الأول احترم حق الآخر في الكلام والتعبير عن الرّأي، والعمل على الفهم وفق مقصد المتكلم لا انطلاقا مما نتصوره عن الآخر. والمستوى الثاني من التسامح هو القبول بالآراء المتناقضة والمختلفة واحترامها مهما كانت بالضد من آرائنا. والمستوى الثالث هو فهم ان ما يناقض الحقيقة التي نمتلكها ليس خطأ وانما حقيقة اخرى، والمستوى الرّابع هو الوعي بمدى الخضوع للأيديولوجيات والنظم الفكرية المختلفة والاساطير والاديان والانحرافات كل ذلك يجعلنا لانكون منغلقين ويقينين دوماً.

المعرفة السّابعة: أخلاق الجنس البشري:

التربية على الأخلاق هي المهمة الكبرى الضامنة لديمومة الجنس البشري، ويجب تحقيق ذلك انطلاقاً من معرفة مركب الإنسان من جهات ثلاث: "الفرد والمجتمع والنوع" ويلزم أن يكون التعليم بأخذ العلاقات بين هذه الاطراف بعين الاعتبار، إذ تقتضي اخلاف الفرد مراقبة المجتمع، والعكس كذلك، وتتطلب اخلاق الفرد تجاه نوعه البشري وجود تضامن كوكبي يترسخ بفعل الاخلاق المنشأة في العقول، وبذلك تكون ثلاثية الاخلاق متحققة الأغراض في الحفاظ على البشرية وانسانيتها. ومن خلال هذه المعرفة تتضح غايتان للممارسة الاخلاقية المزوجة بالبعد السّياسيّ وهما:

١- إنشاء علاقة متبادلة الرّقابة بين الفرد والمجتمع وقوامها الدّيمقراطيّة.

٢- والتعليم على أننا جماعة بشرية ذات مصير مشترك، لذلك يجب ان نعمل وفق مبادئ المواطنة الكوكبية.

وبذلك يمكن أن نقول إن السّياق الذي يعمل عليه موران قد كشفت أركانه ومحركاته، فهو سياق البحث عن الأزمات لحلها، وديمومة رقابتها، لأجل اتمام الوجود الإنسانيّ على نحو من الكونية والبعد الاخلاقيّ الذي يجعله واع بمسؤولياته الفردية والجماعية، ومبتعد عن كل عمليات الاختزال او الشّموليّة التي ضيعت الفكر والفعل الإنسانيّ في متاهات العنف والموت.

الخاتمة:

مثلما هو شان الانسان ذلك المركب/ المعقد في نشأته ونموه وفكره وثقافته وعلاقاته، يكون تفكيره في حلول أزماته أو هكذا ينبغي أن يكون الأمر، ومن ذلك نجد ماطرحه إدغار موران ضرورة ملحة في عالم مليء بالتشابك الذي يصعب فضه، ولعل من المهم هنا أن نشير أن المنهج الموراني يعد سابقة مهمة في طراز التفكير في البحث عن حلول لمشكلاتنا وقد تبين معه أن الاختزال عيب كبير في طريقة نظرنا أو سلوكنا في الحياة، كما ان الفكر الشمولي هو الآخر يعد عقيماً إذا ما اريد منه أن يكون سبيلاً للخلاص. ولم يغب عن موران أن ماقدمته الحداثة من وعود كبيرة في التقدم والسعادة اصبح لاقيمة له، لكنه في المقابل لم يركن لخطاب مابعدي يحارب النسق والسياق الناشد للتحرر، وعلى الرغم من تصريحه في اكثر من مرة بأن العالم اليوم هو عالم تنخره الاحتمالات واللايقينيات والاضطرابات والازمات إلا انه في الوقت نفسه مهيئ لأن ينبثق منه الحل، وذلك الحل يجب أن يتأسس وفق استراتيجيات ومنه نفهم أنه لم يكن مابعد حداثي كذلك، بل تجده يصعب على التصنيف، أو قد يشق طريقاً ثالثاً يمكننا ان نخضع معه في التعقيد إلى جعله مركباً من الاثنين ويعتاش على جدلهما (الحداثة وما بعدها).

هوامش البحث

١ موران، ادغار، لماذا تعليم الفهم الإنساني، ترجمة : محمد بالراشد، مركز نقد و تنوير للدراسات الإنسانية، اصدار رقم ١٥٤١٧، ٢٠١٦، ص٣.

* ادغار موران Edgar Morin: فيلسوف وعالم اجتماع فرنسي ولد عام ١٩٢١، وهو مدير أبحاث في المركز الوطني للبحث العلمي (CNRS) في فرنسا. عُرف بنظرياته التي وجد لها نسقاً أسماه بالفكر المعقد أو المركب، وهذا التعقيد سيرافق كل تصوراته في الشأن المعرفي والسّياسيّ والاجتماعي بل في مجمل تجليات الظاهرة الإنسانية. وله العديد من المؤلفات منها: "الإنسان والموت" في عام ١٩٥١، و"نجوم السّينما" عام ١٩٥٧، وسيرته الذاتية في أربعة اجزاء كان جزأها الاول بعنوان "نقد ذاتي" في ١٩٥٩، والثاني بعنوان "حياة الموضوع" في ١٩٦٩، والثالث "يوميات كاليفورنيا" في ١٩٧٠، والرّابع كان "يوميات كتاب" في ١٩٨٠، ومن أهم كتبه

التي رافقتْ مختلف قسمات حياته هو كتاب "المنهج" الذي ضمّنه في أجزاء ستة، وكتاب اخر اصبح مثاراً للجدل فيما بعد وهو الأرض- الوطن.

٢ موران، ادغار، المنهج : الأفكار، ج٤، ترجمة: جمال شحيّد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢، ص١٦٠-١٦١.

٣ موران، ادغار، المنهج: الأفكار، ج٤، ١٦٧-١٦٨

٤ موران، ادغار، هل نسير الى الهاوية؟، ترجمة: عبد الرحيم حزل، دار افريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠١٢، ص١٢٧-١٢٨.

٥ المصدر نفسه، ص١٣١.

٦ المصدر نفسه، ص١٣٣

٧ المصدر نفسه، ص١٣٣.

٨ المصدر نفسه، ص١٤٣.

٩ ينظر: مجموعة مؤلفين، معجم العلوم الإنسانية، اشراف: جان فرانسوا دورتيه، ترجمة: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩، ص١٠٢٦.

10 Loubser, Gys M.,"Engaging complexity", Verbum et Ecclesia, Vol.35, 2014, p.2.

١١ ينظر: موران، ادغار، انثروبولوجيا المعرفة، ترجمة: يوسف تيبس، مجلة رؤى تربوية، العددان الثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون، مؤسسة عبد المحسن القطان، فلسطين، ٢٠١٢، ص٩٩

12 Montuori , Alfonso, Complex Thought,: An Overview of Edgar Morin's Intellectual Journey, MetaIntegral Foundation, 2013, p.14.

١٣ ينظر: موران، ادغار، تحديات القرن الحادي والعشرين: تواصل المعارف العلمية، ج٢ ترجمة وتعليق حسين شريف، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط١، ٢٠٠١، ص١١٩٩.

14 Maldonato, Mauro, "ON EDGAR MORIN", World Futures: (Online) Journal homepage: http://www.tandfonline.com/loi/gwof20, 2004, p.461.

١٥ موران، ادغار، الفكر والمستقبل: مدخل الى الفكر المركب، ترجمة: احمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال، الدارر البيضاء، ط١، ٢٠٠٤، ص٩.

١٦ موران، ادغار، في مفهوم الأزمة، ترجمة: بديعة بوليلة، دار السّاقي، بيروت، ٢٠١٨، ص٤٨.

١٧ ينظر: موران، ادغار، الفكر والمستقبل: مدخل الى الفكر المركب، ص٧٤-٧٥.

١٨ الهولوغرام البايولوجي هو المقصود هنا، والذي يعني أن كل خلية جسمية في اجسادنا تحوي صورة ثلاثية الابعاد عن جسمنا ومايركبه، وذلك في نواة الخلية.

١٩ الأزمة: في اصلها اليوناني كانت تشير الى معنى القرار والحسم، اما اليوم فهي تشير الى التردد وغياب اليقين والاضطراب. ينظر: موران، ادغار، في مفهوم الازمة، ص٢٩.

٢٠ موران، ادغار، في مفهوم الأزمة، ص٨-٩.

٢١ زهير الخويلدي، " ادغار موران" ضمن كتاب: مجموعة مؤلفين، موسوعة الأبحاث الفلسفية: الفلسفة الغربية المعاصرة، ج٢، اشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٣، ص١٤٠٨.

٢٢ موران، ادغار، في مفهوم الأزمة، ص٣٢-٣٣.

٢٣ ينظر: موران، ادغار، روح الزمان، ج٢، النخر، ترجمة: انطون حمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٩٥، ص٤٢٧-٤٢٨.

٢٤ ينظر: موران، ادغار، روح الزمان، ج١، العصاب، ترجمة: انطون حمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٩٥، ص١٢.

٢٥ موران، ادغار، ورمضان، طارق، خطورة الافكار: تساؤلات حول كبرى القضايا المعاصرة، ترجمة: محمد صلاح شياظمي، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٦، ص١٠٧.

٢٦ موران، ادغار، في مفهوم الأزمة، ٥٣-٦٨.

27 De Beer, C. S, "Methodology and noology: amazing prospects for library and information science", South African Journal of Libraries and Information Science, Vol.77.No.1, 2011,P.87.

٢٨ موران، ادغار، ثقافة اروبا وبربريتها، ترجمة: محمد الهلالي، دار توبقال، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠٧، ص٥

٢٩ موران، ادغار، النهج: انسانية البشرية والهوية البشرية، ترجمة: هناء صبحي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ابو ظبي، ط١، ٢٠٠٩، ص١٩٣.

٣٠ موران، ادغار، في المنهج: حياة الحياة، ترجمة العمري حربوش، دورية نماء، مركز نماء للدراسات والبحوث، العدد١، ٢٠١٦، ص٣٨٥.

٣١ موران، ادغار، النهج: انسانية البشرية والهوية البشرية، ص١٩٥

٣٢ موران، ادغار، المنهج، ج٤، ص١٣٩

٣٣ موران، ادغار، النهج: انسانية البشرية والهوية البشرية، ٢٠٩.

٣٤ المصدر نفسه، ص٢١٠-٢١١.

٣٥ المصدر نفسه، ص٢٤٣.

٣٦ المصدر نفسه، ص٢٦٠-٢٦١

٣٧ موران، ادغار، ورمضان طارق، خطورة الافكار: تساؤلات حول كبرى القضايا المعاصرة، ترجمة: محمد صلاح شياظمي، دار افريقيا الشرق، الدار البيضاء، ط١، ٢٠١٦، ص٩٦.

٣٨ موران، ادغار، النهج: انسانية البشرية والهوية البشرية، ص٢٧٣.

٣٩ المصدر نفسه، ص ٢٨٤.

٤٠ ادغار موران وجان بودريار، عنف العالم، ترجمة: عزيز توما، تقديم: ابراهيم محمود، دار الحوار، دمشق، ٢٠٠٥، ص٨٦.

٤١ موران، ادغار، اصلاح الفكر هو اصلاح اجتماعي وذاتي في آن، حوار اجراه: لورانس بارنسكي، ترجمة: عفيف عثمان، مجلة الاستغراب، صيف ٢٠١٧، ص٣٧.

٤٢ طاهر، علاء، نهايات الفضاء الفلسفي: الفلسفة الغربية بين اللحظة الآنية والمستقبل، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥، ص٣١.

٤٣ موران، ادغار، النهج: انسانية البشرية والهوية البشرية، ص٢٩٠.

٤٤ ينظر: موران، ادغار، روح الزمان، ج٢، النخر، ص٢٨١.

٤٥ ينظر: المصدر نفسه،٤١٦.

٤٦ ينظر: المصدر نفسه،٤٢٠.

٤٧ ينظر: موران، ادغار، تربية المستقبل: المعارف السّبع الضرورية لتربية المستقبل، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠٠٢، ص٤٩-٥١.

٤٨ موران، ادغار، المنهج: معرفة المعرفة، ج٣، ترجمة: جمال شحيّد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢، ص٢٣.

49 Browaeys, Marie-Joëlle, "Complexity of epistemology: Theory of knowledge or philosophy of science?", Paper presented at the ECCON 2004 annual meeting "Co-Jumping on a Trampoline", Driebergen, 22-23 October 2004, p.6.

٥٠ موران، ادغار، ورمضان طارق، خطورة الافكار: تساؤلات حول كبرى القضايا المعاصرة، ص١٢٥.

٥١ موران، ادغار، النهج: انسانية البشرية والهوية البشرية، ٢٣٠.

٥٢ موران، ادغار، ورمضان، وطارق، خطورة الافكار: تساؤلات حول كبرى القضايا المعاصرة، ص١١٦.

٥٣ موران، ادغار، النهج: انسانية البشرية والهوية البشرية، ٢٢٠.

٥٤ المصدر نفسه، ص٢٣٠

٥٥ ينظر: المصدر نفسه، ص٢٣٣.

٥٦ موران، ادغار، نحو سياسة حضارية، ترجمة: احمد العلمي، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠١٠، ص٤١

٥٧ المصدر نفسه، ص٧٩.

٥٨ المصدر نفسه، ص٦٠.

٥٩ المصدر نفسه، ص٥٨.

٦٠ ينظر: موران، ادغار، تربية المستقبل: المعارف السّبع الضرورية لتربية المستقبل، ص١٥-١٩.
٦١ خليفة، داود، اخلاقية التواصل عند ادغار موران، نسخة الكترونية، متاحة على موقع: كوة، ٢٠١٨، ص١٢

قائمة المصادر والمراجع:

١- خليفة، داود، **اخلاقية التواصل عند ادغار موران**، نسخة الكترونية، متاحة على موقع: كوة، ٢٠١٨.

٢- طاهر، علاء، **نهايات الفضاء الفلسفي: الفلسفة الغربية بين اللحظة الآنية والمستقبل**، مكتبة مدبولي، ٢٠٠٥.

٣- مجموعة مؤلفين، **معجم العلوم الإنسانية**، اشراف: جان فرانسوا دورتيه، ترجمة: جورج كتورة، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٩.

٤- مجموعة مؤلفين، **موسوعة الأبحاث الفلسفية: الفلسفة الغربية المعاصرة**، ج٢، اشراف وتحرير: علي عبود المحمداوي، منشورات ضفاف، بيروت، ٢٠١٣.

٥- موران، ادغار، **اصلاح الفكر هو اصلاح اجتماعي وذاتي في آن**، حوار اجراه: لورانس بارنسكي، ترجمة: عفيف عثمان، **مجلة الاستغراب**، صيف ٢٠١٧.

٦- موران، ادغار، **الفكر والمستقبل: مدخل الى الفكر المركب**، ترجمة: احمد القصوار ومنير الحجوجي، دار توبقال، الدّار البيضاء، ط١، ٢٠٠٤.

٧- موران، ادغار، **المنهج : الأفكار**، ج٤، ترجمة: جمال شحيّد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢.

٨- موران، ادغار، **المنهج: معرفة المعرفة**، ج٣، ترجمة: جمال شحيّد، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠١٢.

٩- موران، ادغار، **النهج: انسانية البشرية والهوية البشرية**، ترجمة: هناء صبحي، هيئة ابو ظبي للثقافة والتراث (كلمة)، ابو ظبي، ط١، ٢٠٠٩.

١٠- موران، ادغار، **انثروبولوجيا المعرفة**، ترجمة: يوسف تيبس، **مجلة رؤى تربوية**، العددان الثامن والثلاثون والتاسع والثلاثون، مؤسسة عبد المحسن القطان، فلسطين، ٢٠١٢.

١١- موران، ادغار، **تحديات القرن الحادي والعشرين: تواصل المعارف العلمية**، ج٢ ترجمة وتعليق حسين شريف، الهيأة المصرية العامة للكتاب، القاهرة،ط١، ٢٠٠١.

١٢- موران، ادغار، **تربية المستقبل: المعارف السّبع الضرورية لتربية المستقبل**، ترجمة عزيز لزرق ومنير الحجوجي، دار توبقال، المغرب، ط١، ٢٠٠٢.

١٣- موران، ادغار، **ثقافة اروبا وبربريتها**، ترجمة: محمد الهلالي، دار توبقال، الدّار البيضاء، ط١، ٢٠٠٧.

١٤- موران، ادغار، **روح الزمان، ج١، العصاب**، ترجمة: انطون حمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٩٥.

١٥- موران، ادغار، **روح الزمان، ج٢، النخر**، ترجمة: انطون حمصي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ط١، ١٩٩٥.

١٦- موران، ادغار، **في المنهج: حياة الحياة**، ترجمة العمري حربوش، دورية نماء، مركز نماء للدراسات والبحوث، العدد١، ٢٠١٦.

١٧- موران، ادغار، **في مفهوم الأزمة**، ترجمة: بديعة بوليلة، دار السّاقي، بيروت، ٢٠١٨.

١٨- موران، ادغار، **لماذا تعليم الفهم الإنساني**، ترجمة : محمد بالراشد، مركز نقد و تنوير للدراسات الإنسانية، اصدار رقم ١٥٤١٧، ٢٠١٦.

١٩- موران، ادغار، **نحو سياسة حضارية**، ترجمة: احمد العلمي، الدّار العربية للعلوم، بيروت، ط١، ٢٠١٠.

٢٠- موران، ادغار، **هل نسير الى الهاوية؟**، ترجمة: عبد الرّحيم حزل، دار افريقيا الشرق، المغرب، ط١، ٢٠١٢.

٢١- موران، ادغار، ورمضان، طارق، **خطورة الافكار: تساؤلات حول كبرى القضايا المعاصرة**، ترجمة: محمد صلاح شياظمي، دار افريقيا الشرق، الدّار البيضاء، ط١، ٢٠١٦.

المراجع باللغة الانكليزية:

1. Browaeys, Marie-Joëlle, "**Complexity of epistemology: Theory of knowledge or philosophy of science?"**, Paper presented at the ECCON 2004 annual meeting "Co-Jumping on a Trampoline", Driebergen, 22-23 October 2004.
2. De Beer, C. S**, "Methodology and noology: amazing prospects for library and information science**", South African Journal of Libraries and Information Science, Vol.77.No.1, 2011.
3. Loubser, Gys M**.,"Engaging complexity**", Verbum et Ecclesia, Vol.35, 2014.
4. Maldonato, Mauro, "**ON EDGAR MORIN**", World Futures: (Online) Journal homepage: http://www.tandfonline.com/loi/gwof20, 2004.
5. Montuori, Alfonso, **Complex Thought,: An Overview of Edgar Morin's Intellectual Journey**, MetaIntegral Foundation, 2013.